الحمّالون ولا يكفّون عن طلب النقود وبعدها البقشيش » (ص ٤٠)، وقد يقول قائل: إن هذا محتمل، ونرد عليه بالقول: ولكن، لماذا يؤكّد عجنون في الرواية أن الحمّالين هم من العرب، في حين أن الحمّالين اليهود لم يقدموا على ما أقدم عليه الحمّالون العرب؟.

كما أن العرب في فلسطين، حسب الرواية، يزاحمون المهاجرين اليهود الذين يبحثون عن العمل في المستوطنات، ولا يتركون لهم أية فرصة للعمل، «فجأة تنشق الأرض عنهم (أي العرب) ويثيرون الغبار، بينما يغطّون المستوطنة لكثرة عددهم» (ص ٤٩).

وينظر عجنون إلى العرب على أنهم مصدر إزعاج؛ فهم يسببون الإزعاج حتى لاسحق كومار، المهاجر البسيط الذي جاء للإستيطان في فلسطين؛ بما يستتبعه هذا من مشقّة، ولم يأت للإستجمام، فهو ما أن يخلد إلى النوم حتى يزعجه العرب «بضجيجهم ونهيق حميرهم وأصوات ما تحمله النساء العربيات من دجاج وهنّ في طريقهن إلى السوق» (ص ٥٥).

وعندما يتوجّه اسحق ورفاقه إلى السوق، الذي يؤمه الفلاحون لاستئجار العمّال، يزاحمهم العرب أيضاً «مُحدِثين صخباً وكأنهم أعداء جاؤوا يحاصرون مدينة» (ص ٥٦).

ولمّا التقى اسحق كومار سونيا (وهي ترمز إلى الصهيونية الجديدة في الرواية) في منزلها في يافا، رأى صورة معلّقة في غرفتها فأخبرته بأنها صورة بريلي، الذي «قُتل بأيدي العرب» (ص ١١٥)، وهذا ما يريد عجنون تأكيده، فالعرب قَتَلَة، في نظره، أما لماذا قتل العرب بريلي، فهو لا يورد السبب... المهم عنده أن يثير الكراهية ضدهم.

كما أن العربي، حسب كلام عجنون في الرواية، إنسان مِزواج، فهو يصف فندق تفيلينسكي في القدس بأنه مثل «بيوت العرب الأغنياء الذين يتزوجون نساء كثيرات ويخصصون جناحاً لكل واحدة منهن» (ص ١٩١).

إلى هذا الحد يصل التعصّب ضد العرب لدى عجنون، فهو يحاول الإساءة إليهم وتشويه صورتهم، مستخدماً، في ذلك، كل ما يصل إليه خياله من صفات قد تكون فردية، ولكنه يحاول جعلها عمومية لدى العرب.

ويركّز عجنون على هذه النظرة، إلى درجة محاولة إبراز العرب في صورة ناكري الجميل «فرغم كل ما يسببه العرب للمهاجرين اليهود من متاعب، فإن اليهودي يضحّي بحياته لإنقاذ عربي كاد يغرق في بحيرة طبرية» (ص ١٧٨).

ولمزيد من إثارة الكراهية ضد العرب، يربط عجنون هذه المسألة بموضوع ديني؛ فبينما كان الربي جرونام يقوم بورقان يلقى موعظته، وكل الناس آذان مصغية، «يُحدِث أحد العرب ضجة وهو يقوم بشراء إناء فخاري (جرة) من أحد الحوانيت القريبة» (ص ٣٠٦).

ويصوّر عجنون العربي في صورة من يسعى دائماً لقتل اليهودي، وإن كان